10/11/2020

عظة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الاحترام في كاتدرائية القديس جاورجيوس وسط بيروت



عظة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الاحترام في كاتدرائية القديس جاورجيوس وسط بيروت لنهار الأحد ٨ تشرين الثاني ٢٠٢٠:

بِاسمِ الآبِ والابنِ والروحِ القدس، آمين.

أَحِبّائي، هـذا الأُسبوع حافِلٌ بالأعياد، أوّلُها اليَومَ عَيدُ رَئيسِيّ المَلائِكَةِ ميخائيل وجبرائيل وسائِرِ رؤساءِ المَلائِكَةِ والقُوّاتِ المَلائِكِيّة، وغَدًا نُعَيِّدُ للقدّيسِ نِكتاريوس العَجائِبِيّ أُسقُفِ المُدُنِ الخَمس، وبعدَ غدٍ نُقيمُ تَذكارَ الرّسولِ كواتُس، أَحَدِ الرُّسُلِ السّبعين، مُؤَسِّسِ كَنيسَةِ بَيروت، وأَوّلِ أُسقُفٍ عَلَيها.

تجتمعُ في هذهِ الأعيادِ الثلاثةِ أهمُّ صفاتِ المسيحيِّ الحقيقيّ: المحبةُ والتواضعُ وتمجيدُ الله. وظيفةُ الملائكةِ الأساسيّةُ هي النظرُ إلى العرشِ الإلهيِّ وترنيمُ تسبحةِ الظفرِ المُثلّثةِ التقديس: «قدّوسٌ، قدّوسٌ، قدّوسٌ ربُّ الصباؤوت». نسمعُ في القدّاسِ الإلهيّ نصّاً يخاطبُنا لكي نشابهَ الملائكةَ بالتسبيح: «أيُّها الممثّلونَ الشيروبيمَ سرّيّاً، والمرنّمونَ التسبيحَ المثلّثَ التقديسِ للثالوثِ المحيي، لنطرحْ عنّا كلَّ اهتمامٍ دنيويٍّ، كونَنا مزمعينَ أن نستقبلَ ملكَ الكلّ، تحفُّ بهِ مراتبُ الملائكةِ بحالٍ غيرِ منظورٍ». يحثّنا كاتبُ القداسِ الإلهي على ألّا نتشبّهَ بشيءٍ أرضيٍّ زائلٍ، وأن نكتفيَ بالنظرِ إلى الربِّ والتحدُّثِ معَهُ بلغةِ الملائكة، أي بالصلاةِ والتسابيح، وهو يمجّدُنا.

نسمعُ في رسالةِ اليوم: «ما الإنسانُ حتّى تذكرَهُ، أوِ ابنُ الإنسانِ حتّى تفتقدَهُ؟ نقّصتَهُ عنِ الملائكةِ قليلاً، بالمجدِ والكرامةِ كلّلتَهُ وأقمتَهُ على أعمالِ يديك، أخضعتَ كلَّ شيءٍ تحتَ قدميه؛ ففي إخضاعِهِ لهُ كلَّ شيءٍ لم يتركْ شيئاً غيرَ خاضعٍ لهُ». الإنسانُ الذي هو أصغرُ منَ الملائكةِ قليلاً، كونَهُ جُبلَ من مادّةٍ زائلةٍ، منَ الطين، جعلَهُ اللهُ سيّداً على كلِّ شيء، إلّا أنّهُ خسرَ هذهِ السلطةَ بسقوطِهِ في الخطيئة، ومعَ ذلكَ عادَ اللهُ الآبُ فأرسلَ ابنَهُ الوحيدَ ليعيدَ الكرامةَ للإنسانِ، فتجسّدَ وخضعَ للآلام. يتابعُ الرسولُ بولس: «إلّا أنّنا الآنَ لسنا نرى بعدُ كلَّ شيءٍ مخضعاً لهُ (للإنسان)، وإنّما نرى الذي نُقّصَ عنِ الملائكةِ قليلاً (بأخذِهِ جسداً مادّيّاً)، يسوعَ، مكلّلاً بالمجدِ والكرامةِ لأجلِ ألمِ الموت، لكي يذوقَ الموتَ بنعمةِ اللهِ من أجلِ الجميع». هذا، المجدُ الذي نالَهُ البشرُ بتجسّدِ المسيحِ الخلاصيِّ وموتِهِ وقيامتِهِ البهيّة، لم تحصلِ الملائكةُ على مثلِهِ، ما يؤكّدُ عظمَ محبّةِ اللهِ لنا. هذا يجعلُنا نشعرُ بالتميُّزِ، لكن بتواضعٍ عظيم، لأنّ هذا التميُّزَ يحمّلُنا مسؤوليّةً عظمى، الأمرُ الذي يؤكّدُهُ علينا ما نسمعُهُ في القدّاسِ الإلهيّ: «نشكرُكَ أيضاً من أجلِ هذهِ الخدمةِ التي ارتضيتَ أن تتقبّلَها من أيدينا، معَ أنّهُ قد وقفَ لديكَ ألوفٌ من رؤساءِ الملائكةِ، والشيروبيمُ الكثيرو العيون، والسيرافيمُ ذوو الستّةِ الأجنحةِ، متعالينَ ومجنّحين». لقد تقبّلَ الربُّ تقدمتَنا، معَ أنّهُ لا يحتاجُها بوجودِ «ذبيحةِ التسبيح» التي تقدّمُها لهُ الملائكةُ بلا فتور. معَ ذلكَ، نعودُ ونسقطُ في الخطايا، مفضّلينَ إيّاها على اتّباعِ وصايا الربّ، فيما الملائكةُ ينفّذونَ أوامرَ اللهِ بلا تردُّد. يقولُ كاتبُ المزامير: «الصانعُ ملائكتَهُ أرواحاً وخدّامَهُ لهيبَ نار» (مز 104: 4)، أمّا نحنُ فنريدُ مجدَ الربِّ في كلِّ ما يشاؤهُ من أجلِ خلاصِنا.

كلمةُ «ملاك» تعني «المُرسَل»، وكلُّ مسيحيٍّ مرسَلٌ على الأرضِ لينقلَ البشرى السارّةَ إلى إخوتِهِ. هذا ما قامَ بهِ القدّيسُ نكتاريوس والرسولُ كوارتُس، كلٌّ منهُما بطريقتِهِ، تجمعُهُما ميزتان، هما التواضعُ والصبر. فالقدّيسُ نكتاريوس ظُلمَ واضطُهدَ وقاسى ألمَ الشائعاتِ التي حيكَتْ ضدَّهُ، معَ ذلكَ لم يفتحْ فمَهُ، متمثّلاً بسيّدِهِ الذي وصفَهُ إشعياءُ النبيُّ بقولِهِ: «ظُلمَ وهو خاضعٌ وما فتحَ فمَهُ. كشاةٍ سيقَ إلى الذبحِ، وكخروفٍ صامتٍ أمامَ الذين يجزّونَهُ لم يفتحْ فمَهُ» (53: 7). هذهِ إحدى ميزاتِ المسيحيِّ الأساسيّة، لأنّ الظلمَ إذا جوبهَ بظلمٍ مثلِهِ، أتتِ النتائجُ كارثيّةً، تماماً مثلما يحدثُ حولَنا في عالمِ اليوم. الأسبوعُ الماضي تعرّضَ كاهنٌ أرثوذكسيٌّ لإطلاقِ نارٍ وهو بعيدٌ عن أسبابِ النزاعاتِ الأخيرة، تلكَ النزاعاتِ التي

أَيـقَـظَـتِ العصَبِـيّـاتِ الدينيةَ في العالَمِ أَجمَع. إنّ ما حَدَثَ مَعَ الكاهِـنِ، أَوَ في الكَنائِسِ الأُخـرى حَـولَ العالَم، جُوبِهَ بالصّلاةِ والتّسبيحِ، ولَيسَ بإِراقَةِ الدِّماء. ونَحـنُ نَعرِفُ الصّلاةَ مِن أَجَـلِ كُـلِّ مَـنْ سَقَـطَ ضَحيّةً للعَصَبيّاتِ، لِكَي أَنّ الرّبّ يُحيي وَيُنصِفُ النّاسَ مِن الإخوةِ إلى الأخدارِ السّماويّةِ، ويُضَمِّدَ جِراحَ مَن نَجا. مِن هُنا نَفهَمُ رِسالَةَ المَسيحيّينَ المَلائِكيَّةَ، رِسالَةَ المَحَبَّةِ والفَرَحِ القِياميّ، لأَنّ الغَلَبَةَ والظَّفَرَ يَحصُلانِ بِهَذِهِ الرِّسالَةِ فَقَط، لا بالعُنفِ الّذي قَد يَنجَرُّ إلَيهِ البَعضُ. أَلَمْ يُعَلِّمِ المَسيحُ تلاميذَهُ الّذي قَطَعَ أُذُنَ عَبدِ رَئيسِ الكَهَنَةِ في بُستانِ الزّيّتون قائلاً: «رُدَّ سَيفَكَ إلى مَكانِهِ، لأَنّ كُلّ الّذينَ يأخُذونَ السّيفَ، بالسّيفِ يَهلِكون» (مت 26: 52)؟

القِدّيسُ نِكِتاريوس مِثالٌ مُعاصِرٌ لِكُلِّ المَسيحيّينَ الّذينَ يَظُنّونَ أَنّ عَلَيهِم أَنْ يَنتَقِموا لأَنفُسِهِم مِن أَجلِ رَدِّ الاعتِبارِ إلى المَسيحيّة، أَوَ مِن أَجلِ تَقويمِ عَمَلِ الآخرين. لَو كانَ فِكرُ القِدّيسِ نِكِتاريوس هَكَذا لَما وَصَلَ إلى مُبتَغاه أو إلى هَدَفِ المَسيحيّةِ الأَسمى، أَي التَّأَلُّه. نَتَرَنَّمُ لِرُؤَساءِ الكَهَنَةِ القدّيسين، كالقدّيسِ نيقولاوس والقدّيسِ نِكِتاريوس قائلين: «لأَنَّكَ أَحرَزتَ بالتّواضُعِ الرِّفعَةَ، وبالمَسكَنَةِ الغِنى». القِدّيسونَ هُمُ الّذينَ ساروا على خُطى الرَّبّ، بِصَبرِهِ على الآلامِ، فَنالوا القِيامَةَ والحَياةَ الأَبَديّةَ، ونَحنُ مَدعُوّونَ لِكَي نَفعَلَ مِثلَهُم.

الرّسولُ كوارتُس، مِثالٌ آخَرُ يُحتَذى به في الحَياةِ الرُّوحيّةِ المَسيحيّة. هذا الرّسولُ الّذي يُعَدُّ إلَيهِ الفَضلُ في تأسيسِ كَنيسَةِ بَيروت، هو من الرسل السبعين ومَذكورٌ في رسالةِ الرّسولِ بولُسَ إلى أهلِ رومية (16: 23). يَصِفُ الرّسولُ بولُسُ أَخاهُ في الرّسوليّةِ كوارتُس بـ «الأخ»، وهذهِ العِبارَةُ، على اقتِضابِها، تَحمِلُ المَعاني الكَثيرَة. فالأُخُوّةُ المَسيحيّةُ تَحمِلُ في طَيّاتِها المَحَبّةَ الكامِلَةَ والتضحيةَ التي لا حدودَ لها، على عَكسِ الأُخُوّةِ السّياسيّة الّتي أَصبَحَتْ مُرادِفَةً لِلمَصلَحَةِ والمنفعة. الأَخُ في المَسيحِيّ يَبلسِمُ الجِراحَ، ويأوي الغُرَباء، ويُطعِمُ الجياعَ، ويَروي العِطاش. رُبَّما هذا ما فَعَلَهُ الرّسولُ كوارتُس في بَيروتَ الوَثَنيّة الّتي حَضَرَ إلَيها حامِلاً بُشرى الخَلاصِ السّارّة. الوَثَنيّونَ لا يَعرِفونَ المَحَبّةَ، بَل يَسعَونَ وَراءَ إشباعِ رَغَباتِهِم ومَلَذّاتِهِم. ربما كانت طَريقَةُ عَيشِ الرّسولِ كوارتُس لِلمَحَبّةِ المَسيحيّةِ بَينَهُم سَبَباً لاجتِذابِهِم إلى المَسيح واهتِدائِهِم. الرّسوليّةُ أَحياناً هي عَمَلٌ صامِتٌ، فِعلُ مَحَبّةٍ يُدَوّي أَكثَرَ مِنَ الكَلامِ الكَثير. هَكَذا، بِجَهلِنا سيرَةَ حَياةِ مُؤَسِّسِ كَنيستِنا في بَيروت، نَتَأَكَّدُ أَنّ الصمتَ أَبلَغُ مِن كَثرَةِ الكَلام، وأَنّ البِذارَ الّتي زَرَعَها كانَتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ فيها، وها هي مُثمِرَةٌ حَتّى يَومِنا هَذا، وثِمارُها هُم أَبناءُ أَبرَشيّتِنا المَحروسَةِ باللّه الّذينَ لا يَزالونَ ثابتينَ على إيمانِهِم ورَجائِهِم، رَغمَ كُلِّ ما حَمَلَتْهُ إلَيهِم الأَيّامُ الصّعبَة، ولا تَزال.

أما الأخوّةُ السياسيةُ التي غالباً ما نسمعُ عنها فهي متقلّبةٌ بحسبِ الظروفِ والمصالح. فمن كان أخاً اليومَ أو حليفاً يصبحُ غداً من ألدِّ الأعداءِ، وهذه العداوةُ تنعكسُ سلباً على المحيطِ وعلى الوطن.

مشكلتُنا في لبنان أنْ لا أحدَ يثقُ بالآخرين، لأنّه يخشى أن ينقلبوا عليه إذا ما تغيّرتْ ارتباطاتُهم أو ظروفُهم. أنظروا إلى ما نعيشُه اليوم. حلفاءُ الأمس يتناحرون، وينصبونَ الفخاخَ في وجهِ بعضِهم البعض، وإلاّ ما سرُّ العقدِ التي تنشأُ فجأةً عندما تحولُ حلحلةٌ في موضوعِ الحكومة؟ وهل يَحتملُ البلدُ هدراً

أكـثـرَ للوقت؟ وهل يحتملُ اللبنانيون تجاهالً أكبر؟ يبدو أنّ الفوضى وغيابَ سلطةٍ حاكمةٍ فاعلة، تُسائِلُ وتُحاسِب، يناسبان من يُعشّشُ الفسادُ في نفوسِهم.

يا أيها السياسيون، أال يَـصُـمُّ آذانَــكم أنينُ اللبنانيين؟ أالّ يُـعـذّبُ ضمائـرَكم مشهدُ العاصمةِ المدمّـرة وأهلِها الحزانى المشرّدين والمستَـضْـعَـفـين؟ الوقـتُ ال يمكنُ استعادتُه، وقد أوشك على النفاذِ في معركـتِـنا من أجل التغييرِ والنهوضِ بلبنان. وإن ضاعـتْ الفرصةُ فهي الأخيرةُ كما تـقـولون أنتم. جميعُــكُــم تنادون بالإصلاح. ماذا فعلتم لفرضِه؟ كلُّكم يَـنْعى الحالةَ التي وصلْنا إليها، ماذا فعلتم لتداركِها؟ معظمُكم يشكو من الفساد ويحملُ رايةَ محاربتِه، ما هي الإجراءاتُ التي اتخذتموها؟ الجميعُ يريدُ حكومةً باألمسِ قبل اليوم. لمَ ال تسهّلون والدتَها؟ ولِمَ تضعون الشروطَ والعراقـيل؟ كلُّكم تريدون المداورة فلماذا تتمسّكون بالحقائب التي تديرونها وكأنّها مُلكٌ لكم أو حقٌّ مُكتسَب؟ وإذا كنتم تـدّعون خدمةَ الوطنِ والمواطنين إذا تسلّمتم هذه الحـقـيـبةَ الوزاريةَ دون األخرى، فأنا أقـولُ لكم إنّ الخدمةَ ال تكونُ في مكانٍ دون اآلخر، ومن أرادَ الخدمةَ يخدمُ في أي مكان. أما الشعـبُ فيـقـولُ لكم أنتم تخدمون لبنانَ إذا تنحّيتم وفتحتم المجالَ أمام أصحابِ الخبرةِ واالختصاص، ألنه سئِمَ وعودَكم، وملَّ تجاوزاتِكم. أال تدركون أنّ مصلحةَ الوطنِ والمواطن تأتي قبلَ مصالحِكم؟ إنّما يعيـشُه اللبنانيون من وجعٍ وحرمان ال يسمحُ لكم بهذا الدلعِ السياسي غيرِ المـقـبـول حتى في مجاهـلِ الغابات. أهكذا تـؤلَّـفُ الحكوماتُ في زمنِ المآسي؟ هل بتصفيةِ الحساباتِ والتعطيلِ حتى نَيْلِ المطالب، أو بالتقاسمِ والتحاصصِ والشروطِ يكون خالصُ لبنان؟ وما هي حصةُ اللبناني في وليمةِ التقاسمِ هذه؟ هل فكـرتم بالمشرّدين والمحزونين والثكالى والجـياع؟ هل تدخلُ في حساباتِـكم األوضاعُ االقتصاديةُ المنهارة، واألوضاعُ االجتماعيةُ السيئة، وأوضاعُ الطالبِ والمرضى، والعاطلين عن العمل، وكلِّ ذي حاجة؟ أوقـفـوا تدميرَ لبنان بسببِ تعنّـتِـكم وكبريائِـكم وأنانيتِـكم. ألم يكـفِـكم تفجـيـرُ بيروت؟ هل تريدون تفجيرَ لبنانَ بمن فيه؟ دعوا الرحمةَ تدخـلُ قلوبَـكم، وأعلنوا توبتَـكم عن كلِّ الخطايا التي اقـتـرفـتموها بحقِ هذا البلدِ وأبنائه. إنّ عـمراً بكاملِه لن يكـفـيكم لتـتـوبـوا عـن كل أخطائِكم. أنتم اليومَ على قـيـدِ الحياة. هل تعلمون ماذا يخبّئُ لكم الغد؟ في الماضي خاطبتُ ضمائـرَكم ولكن دون جدوى. اليومَ أخاطبُ قلوبَـكم علّها تلين. أنتم تنحَـرون لبنان. ماذا تتركون ألبنائكم وألحـفـادِكم إن كنتم ال تأبهون للبنانيين؟ أال تالحظون الشرخَ الكبيرَ بينكم وبين شعبِـكم؟ لقد فـقـدتم عرشـيـتَــكم يوم نزعَ الشعبُ ثـقـتَـه منكم. أُتركوا هذا الشعـبَ الطيبَ يعيش. إنه يستحقُ الطمأنينةَ والسالمَ والعيشَ الهانئَ الكريم، في دولةٍ عادلةٍ ويـقِـظة، بعد كـلِّ العذاباتِ التي ذاقها، ولسانُ حالِه يـقـول مَـنْ فـجّـرَ منازلَنا وقـتـلَ أوالدَنا وشرّدَنا وأفـقـرَنا وجَـوَّعَـنا؟ أين نتيجةُ التحـقـيق ومـن هـو المذنب؟ المواطنُ ما زال خائفاً على حياتِه وأمنِه ومستقـبلِ أبنائه وما زال يترقـبُ أيّ انفجارٍ أو مصيبةٍ ستحلُّ به بعد، وأنتم تتلهّون بحصَصِكم، غيرَ آبهين لمسؤوليتِكم ولحكمِ اللهِ اآلتي عليكم. البلدُ ال يُبنى باالستئثار والالمباالة، أو الحـقـدِ واالنـتـقـام، أو التدخُّالتِ واإلمالءات، وال بالتعـويلِ على الخارجِ أو االرتباطِ به. البلدُ يحتاجُ لرجاالتٍ كبار يتحلّون بالحكمةِ والعلمِ والنزاهةِ والتواضعِ والصبرِ والقدرةِ على العملِ الدؤوب النافع، عاملين بأحكامِ الدستور، مترفّعين عن كـلِّ مصلحةٍ إالّ

مصلحةِ الوطن. فمن له أذنان للسمع فليسمعْ.

Christian Orthodox Archdiocese of Mount Lebanon